جدلية الغياب ،دراسة في التضادات الشعرية

نصوص رعد زامل اختيارا

عبدالله نجم كزير

م. د نائل عبد الحسين عبد السيد

جامعة ميسان / كلية التربية

قسم اللغة العربية

الملخَص:

تعد ظاهرة الحضور والغياب من المظاهر التي شكلت مثارا جدليا على امتداد الدرس النقدي منذ القدم وحتى العصر الحديث ، وقد حققت هذه الظاهرة انتشارا واسعا في أدب القرن العشرين وما تلاه وعيا منهم بأهميتها وقدرتها على تحقيق انفتاح النص وتعدد دلالاته المتجاوزة لحدود الكلمات الظاهرة، فضلا عن صعوبة الامساك بالمدلولات المتخفية وراء الكلمات المجسدة لمبنى النص، وهنا تكمن وظيفة القارئ كونه منتجا للنص ،عبر قدرته على فك شفرات الرسالة النصية، من اجل الوصول الى مقاصد الشاعر، والتعرف على الجانب المسكوت عنه والمظلم من تجربته الشعرية، إذ يتماهى الحاضر متمثلا بالمبنى الخارجي للنص مع معناه وترميزه وهو المدلول الغائب لتحقيق ثراء النص الدلالي وكماله الشعري .

. **الكلمات المفتاحية**:(مدلولات الغائب ، الخوف ، الإكراه ، المسكوت عنه، التواطؤ، الانهزام)

Summary :

The phenomenon of presence and absence is one of the manifestations that formed a controversial issue throughout the critical study from ancient times until the modern era. On the difficulty of grasping the meanings hidden behind the words embodied in the text structure, and here lies the role of the reader being a producer of the text, through his ability to decode the text message, in order to reach the poet’s intentions, and to identify the silent

side, and the dark corner of the poet's experience, as the present identifies with the present. Represented by the external structure of the text with its meaning and coding, which is the absent signifier to achieve the richness of the semantic text and its poetic perfection

ـ مفهوم الغياب :

ورد مفهوم الغياب في كثير من المعاجم الحديثة بالمعنى المخالف للحضور، والمتمثل بالعجز وفقدان القدرة على الاتيان بفكرة مكتفيا بالإشارة اليها بكلمة وقتية الى حين الوصول للفكرة الاصل ، ومن هنا يأتي حضور اللغة ليعمل على تأجيل المعاني والاشياء ،فلا حضور لها في ظل اللغة الحاضرة [١]، وبهذا يمثل النص الغائب كل مالم تقله الكلمات ولم يصرح به النص رغم اثارته له تلميحا، كما ان البحث في هذا المفهوم يقود الى البحث في ما وراء النص الحاضر والمشكل لمبنى النص وشكلة الظاهري ،إذ يتم وبفعل النص الحاضر استحضار الرموز والدلالات كمرجعيات تراثية او تاريخية او اجتماعية متخفية بين متون الحاضر، كارث ادبي له اثره في الذاكرة الجمعية، فيقوم المتلقي بإعادة تشكيلها وبنائها، لينتج نصا جديدا يمثل النص الغائب ، إذ تسارعت الدراسات الحديثة الى تلقف هذا المفهوم نظرا لطبيعة الخطاب الجديد واساليب بنائه القائمة على الايحاء والترميز اكثر من قيامه على المباشرة [٢] ، وقد استقامت هذه الدراسة في جانبين مثل الاول الجانب النظري بينما مثل الآخر الجانب الإجرائي:

ـ الجانب النظري

١ـ الغياب في المنظور النقدي القديم :

مثلت هذا الظاهرة حضورا بارزا ا في تراثنا النقدي، على الرغم من عدم ادراكهم لوضع مفهوم علمي لها، غير انها كانت حاضرة في ذهنية النقاد ،إذ عرفت في استعمالهم الادبي بالتضمين ، ويتحقق هذ الاخير من خلال، قيام بعض الشعراء باجترار نص من نتاج غيرهم وتضمينه في نصوصهم الجديدة لشدة اعجابهم وتعلقهم به، وخير ما يدل على ذلك قول ابن مطروح : لبسنا ثياب العناق مطرزة بالقبل ، فيقوم احد الشعراء بتضمينه دون تغييره في قوله : لو سمع ابن مطروح هذا لهب خاضعا ومن ذلك قول الشاعر :(ولما خلعنا العذار فككنا طويق الخجل لبسنا ثياب العناق مطرزة بالقبل) [٣] ، فهذه الظاهرة قابعة في التراث عبر اطلاق الحاضر من اجل استحضار الغائب ، إذ كانت تمارس قديما لمحاكمة

النصوص وتقويمها عبر استخلاص مواطن الركة والجودة في تطبيقاتهم المتمثلة بحضور او غياب بعض العناصر الفاعلة والمركبة للنص ، ليحظى الغائب بعناية القدماء فيما يعنيه بـ(الحذف او المسكوت عنه) ، فيقول القرطاجني في باب بلاغة الحذف : " الحذف باب دقيق المسلك ولطيف المأخذ اشبه ما يكون بالسحر، فيحدث من خلال ترك الذكر ليحمل عمقا افصح من الذكر والصمت عن الافادة ازيد للإفادة " ويقول :" ما من اسم او فعل كان قد حذف الا وكان ابلغ من ذكره واضماره آنس من اظهاره والنطق به " وهو هنا يتبع خطى الجرجاني في نظرته ورؤيته ، كما كان لوصية بشر بن المعتمر حظوتها عند النقاد وتقوم على " ان تكون الفظة قارة في مكانها وليست قلقة في موضعها ، فاذا كانت غير مستقرة فلا تجبروها على اغتصاب الاماكن ونزولها في غير موطنها " وهذا ما يؤكد على اهمية السياق في رؤى نقادنا قديما ،عبر عنايتهم بترابط العناصر المشكلة للنص ووضع كل كلمة في محلها وهذا ما يسمى بالحضور عند المحدثين [٤].

٢ـ الغياب في المنظور النقدي الحديث:

تمثلت ظاهرة الحضور والغياب في نقدنا الحديث عبر تجليها في بنيتين تشكل الاولى حضورا بينما تتمثل الثانية بالغياب ، وبهذا عند اقتراب الظاهرة من احد الطرفين فإنها تكون بعيدة عن الاخر، لتكتسب قربا من الاول ، فتحقق داخل النص عملا تواصيا سعيا للامساك بالمدلولات الغائبة ، فتكون متحكمة في النص وموجهة لمساره فضلا عن قدرتها على تحقيق وظيفته الاجتماعية والثقافية ، فعند صياغة هذه الثنائية كإكليل موطر بالجمال، لا بد ان نميز بين علاقتين لهذه الظاهرة داخل النص الشعري وهي" علاقات تقوم بها العناصر الحاضرة واخرى تقوم بينها وبين العناصر الغائبة " [٥]، لتقوم هذه الثنائية على ركيزتين يكون اولهما معدوما وهو الغائب والآخر موجودا وهو الحاضر، وبهذا يقترن الحضور بالغياب مشكلا وجوده فلا قيمة لاحدهما بمعزل عن الآخر [٦]، والحضور والغياب على المستوى الدلالي كلاهما يعد مكملا للآخر ومشكلا لقيمته واثره الدلالي، وعند النزول بالظاهرة موضع الشعر يشكل الحضور الجانب البنائي الشكل الخارجي للنص، أي الكلمات الظاهرة ، بينما يمثل الغياب المعنى والمدلول، وفي خضم هذين يدور الشعر ويجمل ، ولا يمكن اغفال دور اللغة وفاعليتها في تمثلها لغاية الشعر إذ يرى حمادي صمود: "ان اللغة كجهاز اعلامي مزدوج يكون احدهما معلوم والاخر معدوم ، فتشكل الكلمات الحضور ويشكل المعنى الغياب "[٧]، كما تقوم طبيعة هذه "العلاقات الغائبة على المعنى والترميز بينما تمثل علاقات الحضور علاقات تشكل وبناء"[٨] ،وترتبط هذه الظاهرة بالتناص عند المحدثين عبر قدرتها على تفكيك النص وكشف رموزه وازدال الستار عن خباياه ، ويقدم ريفاتير تعريفا لمفهوم التناص بقوله : "هو نصوص تشكل حضورا ذهنيا لدى القارئ عبر احالة الحاضر اليها" ، كما جاء عند جوليا كرستيفا :" هو مجموعة من التقاطعات لنصوص الغائبة تعد مقيمة لدعائم

الحاضر، وبهذا فالنص ليس قائما بذاته ، انما هو نصوص من تقاطعات نصوص اخرى يقوم بامتصاصها لتنخرط في بنيته " وبهذا ترى كرستيفا ان كل نص ما هو الا امتصاص لنص اخر وتحويله لنص جديد يلائم متطلبات العصر وبيئته، عبر تشكله من نصوص تراثية او معاصرة تستحضرها ذاكرة المبدع في، كما يذهب جيرار جينيت الى ان الاعمال الادبية الحديثة ليست الا اعمالا متولدة من رحم نصوص سابقه لها، إذ يعرج الى ان فهم النص الغائب متآت من القاء الضوء على الحاضر، فيولد نصا من نص آخر لينفتح النص بإمكانية تعدد القراءات ، وبهذا فصلة التناص بالنص الغائب هي صلة الحضور بالغياب [٩] .

ـ الجانب الإجرائي :

ـ تمظهرات الغياب في النصوص المختارة:

تعمل هذه الظاهرة عند توظيفها على تأثيث النص بمدلولات تثير للدهشة ،عبر تجليها بين الحضور والغياب ، كما ان النص ليس بعيدا عن تجربة مبدعه ،إذ يأتي وليدا لإفرازات الحياة وظروفها واثرها في نفس الشاعر، فيكسبه شخصيته وافكاره، لذا يعد لزاما على الشاعر ان يحسن اختيار عباراته ، ليستحوذ على ذائقة القراء من خلال توظيف كلمات تبعث على التأمل، ومن هنا تتجلى هذه الظاهرة في نصوص الشاعر رعد زامل ، لتمثل حصيلة مرحلة زمنية عاشها الشاعر، فتشربت روحة احداثها ، لتتبعث كلماته نسيما يداعب اذهان المتلقي من خلال دلالاتها التي تلمع فيها عبارات الخيبة والخذلان، وهنا على القارئ ان يحاول فك رموز النص واشاراته تجسرا بما تيسر القبض عليه من شفرات ،من خلال استطلاع البنى السطحية للنص التي تقود المتلقي لمكنوناته المستترة خلفها، محدثة بذلك نقصا او ثغرة يعمل المتلقي كناقد على ردمها ليستحضر بذلك الغائب وتنجلي ضبابية النص وغموضه ، وبما ان الحاضر يقترب من الغائب ويكمل كل منهما الآخر [١٠]، إذ يقول الدارسون ان لا حضور لاحدهما دون الاخر[١١]، ومن هذا الحاضر يستخلص المتلقي ذلك المسكوت عنه لأسباب تثير حفيظة الشاعر خوفا من الخطر ،فيعمد الى التلميح او احداث نقص يكتشفه القارئ، ليكون عملية تواصلية يكون للقارئ دورا بارزا فيها ، ويتجلى الغياب في ما يتركه الشاعر من تلميحات في مجموعة من نصوصه ومنها :

١ـ تمظهرات الغياب في اسقاطات:

فقد حفلت نصوص الشاعر رعد زامل بالغياب مبرزا من خلاله تضادا يثير الدهشة ويضفي على النص بعدا بلاغيا وتركيبا دلاليا محكما وسط هيمنة الغائب في نص، (اسقاطات) يقول :

ترى

بماذا تكهن ابي

قبل ان يقذفني في سلة المهملات ؟

ترى لماذا

غيرت مسارها الرصاصة

التي اطلقتها على راسي ؟[١٢]

يستهل الشاعر نصه بعلامات الاستفهام الوجودية التي تنم عن الم يؤرق الشاعر ويبعث البؤس في تفكيره حول الوجود ، جاعلا من اباه عرافا يتنبأ بالغيب (بماذا تكهن ابي)، لينتهي المطاف بالقذف في (سلة المهملات) وهي اشارة لقساوة الوجود هذا الواقع الذي يسيء معاملة البشر، فلا جدوى للخلاص، ومن ثم لا فرق بين هذه الحياة وسلة المهملات ، في وسط طال فيه الخذلان كل شيء، فكتب عليه ان يعيش في واقع كمرآة مكسورة تنظر بشكل مشوه للواقع، لتعمل عكس ما يجب ، وقد برزت ذات الشاعر حاضرة هنا من خلال هذه التساؤلات، وبتوظيف ضمير المتكلم الذي يبين حضور الذات المنبهة الى خطورة الوجود ، لتتحقق وظيفة الحاضر المكرس من قبل الشاعر ليحشوه بمدلولات غائبة حاضرة في ذاكرة القارئ، فجاء الحاضر (سلة المهملات ، تكهن ابي، الرصاصة) كجسر يعبر القارئ من خلاله لسبر اغوار المسكوت عنه ، ليحقق ولادة النص الغائب مجسدا مقاصد الشاعر حول واقع يرضخ فيه كل الموجودات لسطوته، إذ يضع الشاعر امام المتلقي حقيقة ترهق خياله، فيسعى جاهدا للبحث عن المدلول الغائب الذي يظهر تعاسة الشاعر ومقته للوجود يقول:

الانسان ...

يدفن رأسه في التراب

المآذن ...

تدفن صوتها في الصمت

النخيل لا يدفن شيئا

منذ ان التهمت رؤوسه الحرب [١٣]

تتبدى ظاهرة الغياب هنا بشكل جلي لتحمل رسالة الشاعر من خلال الغائب المتمثل بالإكراهات الممارسة على المجتمع ،والخوف من الخطر الذي يأسر اللسان ليحيل الكلام الى مكبوت في اللاوعي ،

فما يلبث ان يظهر ويختفي بين متون النص على حد تعبير فرويد [١٤] ، فيصنع الشاعر تضادا بين الانسان الذي تكمم افواهه وتلك النعامة الحيوان الجبان كإشارة وظفها الشاعر قاصدا من خلالها من يحظى بالحمد في ظل خضوعه لمواجهة الكارثة بشموخ وهم الناس المستسلمون، فمن خلال توظيف هذه المفردة (شموخ) حملت صورة دلالية معكوسة ابرزت مقاصد الشاعر كاشفة عن المدلول الغائب من خلال استحضار المتلقي لذلك الحيوان في مخيلته ، فهو يلوذ خوفا بوضع راسه في التراب ، حيث حملت هذه المفردة علامات الاستسلام والخضوع فجاءت بمعنى مخالف لمعنى شموخ وهنا يتحقق التضاد الحاد[١٥] ، بينما تكبل اصوات المآذن ، والانسان ، والنخيل لعدم اكتراثه شامخا تأكل رأسه الحرب ، في واقع يعصب الافواه ويمقت الكلام فتحال الحقائق كقطعة معدنية عتيقة فاقدة للبريق بفعل الاكراه يقول :

وحدها النعامة

في هذه المدينة

بشموخ

تواجه الكارثة [١٦]

تنجلي هنا غبرة النص وغموضه، فينكشف الغائب المتمثل برضوخ النعامة لتواجه الكارثة بذل وهوان قاصد من خلالها بعض الشعوب وهي تساق الى مصيرها في وسط يسوده الصمت والقنوط ، بينما يخضع الشامخ كالنخيل لنيران الحروب، مبرزا استسلام البعض كالنعامة تماما.

٢. تمظهرات الغياب في نصوص الغياب:

وفي هذا النص يعالج الشاعر مرحلة مأساوية مظلمة من حياة ، فتفيض كلماته مطرزة بين الواقع والخيال في امتزاج يمنح الكلمات بعدا خلابا، عبر اثارة حفيظة المتلقي باحثا عن مرامي الشاعر ليقوم بدوره انطلاقا من العناصر الحاضرة وصولا الى الغائب الذي يهيمن بحضوره على فضاء النص ، ومن هنا يشير صلاح فضل الى المظاهر التي تواجه الناقد قيد محاولة تحليل النص وهي تتمثل اولا بالمظهر الخارجي المعجمي والمظهر النحوي المتمثل بوظيفة اللغة في منح النص تماسكا وجمالا ، فضلا عن؛ المظهر الدلالي متمثلا بالمعنى ، فيشكل الحضور كما ذكر سابقا عند تودروف وصلاح فضل مبنى النص، بينما الغياب يمثل المعنى والترميز[١٧] ، إذ تكمن اهمية العنصر الدلالي في قدرته على منح النص آفاقا جديدة لتعدد القراءة، فيغدو نصا مفتوحا ، فتحدث بعفلة مساحة او ثغرة وعلى الناقد محاولة ردمها وطمرها، لتحقيق اكتمال النص والكشف عن الغائب الذي يستحضر بفعل الحاضر

،إذ برز في نص رعد زامل (نصوص الغياب) كلمات تشيح بنفسها عن الحاضر مخبأة مدلولا غائبا ، فمن خلال الفاتحة النصية التي عبرت عن صفحة سوداء في سجل حياة الشاعر، الذي يغدو كمطفأة للسجائر في واقع يتواطأ فيه كل المخلوقات محدثا ظلاما يقود الى ظلام ، تحمل كلمة (ظلام) هنا ذلك العنصر الغائب يقول :

لم تكن حياتي

غير موج يغشاه موج

فلا تسالييني عن الظلام

الذي اوصلني الى الظلام... [١٨]

إذ يستحضر الشاعر هنا شخصا آخر، واقعيا او متخيلا مخاطبا له مبرزا من خلال خطابه المسكوت عنه، ذلك المكبوت الذي يرهق كاهل الشاعر، فالظلام جاء هنا في المرة الاولى يحمل معنى الظلمة وانعدام الرؤية بوضوح ، بينما حمل الظلام الثاني معنى النص الغائب المتمثل بالظلم والخذلان والخيبة عبر انتهاك الحريات، مع توشح النص بالفقد الذي يبعث في نفس الشاعر الوحدة والاغتراب، جاعلا من المخاطب وسيلة لفظفظة همومه المتعبة من واقع محفوف بالقراصنة، لتحمل مفردة (القراصنة) هنا معنا اخطر، يحمل كلاما غائبا بشكل غير مباشر يخيل للمتلقي حجم تحكم اللصوص وسيطرتهم، وممارستهم لإكراهات تثير انفعال الشاعر غضبا، غير انه يكتفي بمفردة القراصة كعلامة للمخبوء تضفي عليه بعدا بلاغيا [١٩] يقول :

لا تسأليني عن آخر لموانئ

فكلها محفوفة بالقراصنة

لا تسأليني عن البوصلة

فهي الاخرى

تغض الطرف عن الضياع [٢٠]

إذ تتغطي حياته بالأمواج لتبعث صورة مشوهة ومثيرة للحيرة عن الوجود ، تحيل في مخيلة القارئ الى المصائب المتعاقبة على حياة الشاعر، فتنحدر دلالة النص متساوقة وجحم خدلان الواقع ومرارة الظلم والخوف، لتسطع التعاسة في مجتمع تدير فيه البوصلة وجهها عن الاتجاه ، فتنعدم وظيفتها، ليسيطر الضياع والتيه من خلال تواطؤها وخيانتها للسفينة المتمثلة للواقع ،وهنا يتحقق التضاد الحاد في توظيف

الشاعر، إذ كما هو معروف في الذاكرة الجمعية ان تعمل البوصلة على ارشاد التائه الى الطريق، لتعمل هنا على العكس تماما[٢١]، جاعلا منها الشاعر وسيلة لصب مدلولاته وبيان حجم الخيانة والخيبة لمن جعل منها طوقا للنجاة في صحاري او بحار التيه، فيظهر الغائب هنا متمثلا عبر توظيف البوصلة ليوجه الشاعر عبرها نقده الى من هم على دفة السيطرة ، فجاءت هذه المفردة (البوصلة) تحمل مدلولا وبعدا ابلغ من مباشرة القول، عبر وضعها في مكانها الملائم الذي اوضح المعنى الكامن مستحضرا تعاسة الواقع بؤس الناس، إذ أثَرتْ النص بالتكثيف الرمزي والدلالي ،لان الغياب لا يختفي بشكل كلي من بنية النص حيث تبقى هناك اشارات وعلامات ترشد القارئ لمكامن الغائب [٢٢]، ومن هنا تنساب كلمات الشاعر المحملة بالصراخ والخيبة حاملة اشارات لغائب يشكل مضمون النص كقوله: (كل الموانئ محفوفة بالقراصنة) ، حاملة دلالات استسلام ويأس يكبل عزيمة الشاعر كفرد على تغيير الواقع، شعورا بانعدام القدرة والضعف تجاه الآخر المسيطر بفعل اناه الخائفة المهزومة [٢٣]، فيتضح الغائب هنا من خلال هذه الكلمات الحاضرة وعبر استقصائها يطرح المسكوت عنه نفسه للمتلقي لفهمه واستيعابه من خلال تمكين اللصوص على السفينة في ظل خيانة البوصلة ، لتذهب بالبشر نحو الضياع ، في واقع مليء بالمخاطر بينما تصمت البوصلة خوفا وتواطؤا، لتذر السفينة لأمواج التيه ، من خلال توليها لمن هم ليسوا اهلا لها ، فيبرهن الشاعر كيف يسود الفساد والسرقات في مجتمع تتحكم فيه القراصنة وسط صمت واستسلام .

٣. تمظهرات الغياب في (وصية):

وفي نص آخر(وصية) يحسن الشاعر اختراق مخيلة المتلقي واصفا له تلك السكين التي تقطع الفاكهة ، لتشكل حضورا عبر الذاكرة مجسدة خيبة الشاعر وعدم جدوى السكين وقدرتها على (قطع اذيال الخيبة) ، حيث يغدو الشاعر ومن خلال العنوان كمن يبعث وصية غير انه يكسر افق التوقع لدى القارئ، فهي ليست وصية لتوزيع وتقسيم ثروة كما يخيل للقارئ من الوهلة الاولى ، انها تمثل رسالة تخترق الزمان والمكان نحو المستقبل محملة بالاستغاثة ، مبرزة اعلى صيحات الفقر والعوز، فلا ثروة هنا ،إذ جاءت اللغة حاضرة بشكل بارز و جلي من خلال تطويع الشاعر لها وابرازها عبر حضور ضمائر المتكلم التي بدورها تجسد حضور ذات الشاعر المتمثلة بالمجتمع[٢٤]يقول:

بالسكين ذاتها

التي سال لعابها

على جسد التفاح

سأقطع اذيال خيبتي [٢٥]

تستبطن هذه الكلمات معاني غزيرة تنبعث منها الخيبة في واقع تمثل فيه الشتيمة مصدر ثراء ومجد تهيل على المتلقي بالكثير من الاسئلة: هل تقطع الخيبة بالسكين؟ سكين مطبخ عملت على تأدية غرض الشاعر في تحقيق تضاد حاد بين ما هو مدركا ماديا كالسكين وما هو محسوسا ذهنيا كالخيبة واذيالها[٢٦]، فجاءت تبرز ضعفه وانعدام قدرته على قطع اذيال الخيبة ، وهل للخيبة اذيال ؟ ، لابد ان الشاعر هنا يخبى كلاما غائبا بين خبايا الكلمات الحاضرة ، حيث ومن الوهلة الاولى تبعث الامل للقارئ، ومن ثم لا يلبث القارئ و بالقراءة المعمقة كشف مواطن الغائب المحمل باليأس والاستسلام يقول :

واقف طويلا على المنابر

مفلسا كعادتي

ومفلسا كفم

يخلو من الشتيمة [٢٧]

يستعصي على الشاعر هنا التخلص من هذه الخيبة التي تكبله بأغلالها متغلغلة في روحه متوعدة له بالإفلاس المادي والمعنوي والافلاس عن الكلام ، فلا ينال الثراء الا الافواه المملوءة بالشتيمة والخطايا، وما بوسع سكين صغير ان يفعل مع ما افسده الزمان عبر تراكمات الواقع ، في مجتمع يعلي شأن الشتيمة ،التي مثلت الغائب الذي حضر وتجلى عبر سبر اغوار الكلمة وفهم حيثياتها ، بينما تحمل مفردة (الافلاس) كما غزيرا بالكلام غير المباشر تجنبا لمصادر خوفه المكتسبة والتي تثير قلق الشاعر جراء توقع الخطر بفعل تجارب الحياة المضطربة[٢٨]، وكأن الشاعر قد استنفر كل اشجانه المكبوتة وصبها في هذه المفردة ، ليحقق عبرها تعبيرا بليغا يلامس مشاعر القراء، والذي يمثل نقدا مضمرا للواقع يقول :

وكي لا اموت

وانا موص بينكم جنفا

فحصاني لعبد الامير جرص

شرط ان يصل

الى عروة ابن الورد [٢٩]

وكي لا يعدل الشاعر عن رأيه الحق لابد له من تقسيم املاكه (حصان وقميص وقصائد) ، غير انه في هذا التقسيم يعد حاذقا يضع كل شيء في مكانه المناسب لاستحصال المدلول الغائب في النهاية بطريقة تتحقق فيها قيمة الكلمة وتجسيدها للدلالة ، فتنساب وصيته كأخر وسيلة للإصلاح والاستغاثة في سماء يحتظر هيها الامل ، لتحل الخيبة والافلاس، كفأر ينخر عظام البشر ، فجاء توظيف الحصان في محلة مشروط بقدرة شخصية جرص على ايصال الحصان لعروة ابن الورد ذلك الشاعر الفارس والصعلوك الجاهلي الذي يدعى بـ (ابي الصعاليك) ، من خلال تماهي الفرس مع الفارس لتأدية الغرض من الصورة الشعرية ، ومن هنا جاءت مقاصد الشاعر متحققة عبر الحصان الذي مثل نداء استغاثة بعروة كآخر قطرة امل في ظل سيادة الفقر وانتشار الجوع ، إذ وظف الشاعر هنا شخصية مثلت مرجعية تاريخية قاصدا من خلالها شد انتباه المتلقي واخذه عبر الذاكرة لما وصف فيه عروة انه كان يغير على قوافل التجار فيأخذ املاكهم ليوزعها على الفقراء، ليتحقق بذلك خلود التراث واثراء النص الجديد بمضامين القدماء في شكل لحمة مترابطة تحقق ولادة نص جديد[٣٠]، فمثلت الاستغاثة عنصرا غائبا حضرت عبر استحضارها من خلال الحاضر الحصان وعروة، عبر قدرة المتلقي على ربط الكلمات وملئ الفراغ لاستحصال فهم الغائب ، فهذا الاخير ما هو الا نصوص تستتر وتتخفى في بنى النص الحاضرة ليكون عملها بشكل باطني من اجل اكساب النص دلالاته، وبهذا لا يتحقق فهم النص الا بمعرفة وفهم الغائب [٣١] ، ومن ثم الوصية الاخرى يقول :

وقميصي

لعبد الرزاق عبد الوهاب

شرط ان لا يقطف الوردة من القميص

اما قصائدي

فأنفقوها

على ربة الشعر

واطفال الجنوب [٣٢]

وتحمل مفردة (وردة) الحاضرة مدلولا اعمق يتخفى متسترا بمظهرها الخارجي ، فتمنح لشخصية عبد الرزاق عبد الوهاب مشروطة بعدم قطفها ، انها تبعث هنا في مخيلة القارئ الامل فهي آخر النداء الذي تتعلق به نفس الشاعر على امل بعيد ، اما القصائد مانحا ايها لربة الشعر واطفال الجنوب ،موظفها لها

مفردة (الانفاق) لتدل على شيء مادي كغذاء لهؤلاء الجياع عسى ان تحدث تحولا في الواقع ، كأخر وسيلة لانعاش البشر ، فجاء الغائب هنا في هذا النص حاملا مقاصد شفافة هاربة من تلوث المجتمع .

٤ـ تمظهرات الغياب في غيوم دامية:

وفي نص (غيوم دامية) من عادة الغيوم في ذاكرة القراء ان تكون بادرة خير وبشرى بالمطر ، غير ان الشاعر هنا يوظفها كنص حاضر ليبرز من خلالها فضيحة السلطات محققا عبرها تضاد حاد بين ما هو بديهي كالغيوم الباعثة للمطر وبين الغيوم الموظفة والطافحة بالخيال[٣٣]، ليثير في القارئ غريزة مواصلة القراءة وشده عبر الخيال للبحث عن مكنونات النص الغائب الذي لا يلبث ان يظهر حاملا حقيقة تبرز زيف الوجود يقول :

يا الهي

ما الذي يحدث

لابد ان احدهم قد طعن القمر

او ان الطيور بكل سلالاتها

قد ذبحت في الأعالي [٣٤]

يستهل الشاعر نصه بإثارة الدهشة المحملة بدلالات تخبر عن هول مشهد قد حصل، لتتناسب الكلمة وحجم الدماء التي تسيل مدارا في غير موسمها ، لتشكل هذه الكلمات احتمالات ساورت ذهن الشاعر جاعلا منها رمزية تناسب فداحة الامر (لابد ان احدهم قد طعن القمر، الطيور بكل سلالاتها ذبحت) احتمالات تنم عن عاطفة ارهقها هذا المشهد الدموي ، لتشكل طوقا مرصعا بدلالات متخفية تنبعث منها رائحة الفضيحة التي ساقتها الغيوم ، هذه المفردة التي مثلت بؤرة اظهرت زيف السلطات المسيطرة وهي تقتل البشر متسترة عن ذنبها ، يقول:

بماذا افسر هذه الدماء

التي في غير موسمها

تسيل مدرارا

وان يصدق الظن انها الغيوم

تكونت من دماء قتلانا وقد بدأت

تفسي اسرارهم[٣٥]

عالج الشاعر هنا بدلالة مفردة (الغيوم) التي ترمز لأمر متخف، كوسيلة لتوظيف التضاد بين الغيوم في ذاكرة القارئ ،وبين الغيوم الممتزجة بالخيال الفاضحة لجرائم واقع يقتل عبر ممارسة شرعيته ،ومن خلال ضمير المتكلم (قتلانا) يعود الشاعر جاعلا نفسه صورة لمجتمعه، مبرزا عبر الغائب المتمثل بدلالة الغيوم، ممارسات اقصاء ونفي ، فجاءت كلماته تحمل نقدا مضمرا يعكس خيبات مجتمع تتم ابادته بشكل سري ،إذ احالت علاقات الحضور المتلقي الى الغائب المستحضر الذي يعمل على اضاءة الحاضر اكثر من الحاضر نفسه ،عبر دلالات السياق والمجاورة والتي تشكل حضورا عبر الغائب بعد اكتشافه وربطه، فيكون حضوره بشكل اقوى للعلاقات عينها، وبهذا نكون ازاء خلق نص مختلف وجديد تمنح قراءته الرغبة في محاولة اعادة كتابته وانتاجه بشكل يمنحه المغايرة واثارته للدهشة [٣٦]، ومن هنا جاءت الغيوم كحاضر يحمل الغائب متمثلا بفضيحة الواقع مظهرة قدرة ربانية على كشف الحقيقة ، ليتجلى المسكوت عنه بقدرة الرب، حيث تشربت هذه العبارات روح الشاعر المحزونة وهي ترى سيل الدماء في غير موسمها قاصدا من ذلك اعياد النحر، فهي دماء حملتها الغيوم حبلى كأسرار ، لتنجبها كأبن يحمل على عاتقة مسؤولية كشف اسرار الواقع المشؤوم.

الخاتمة :

يقوم هذا البحث سعيا للكشف عن دور ظاهرة الغياب وقدرتها على تحقيق اثراء النص الدلالي، فضلا عن، ما تمنحه للنص مزية جمالية وبعدا تأمليا عميقا غائرا في مجموعة من النصوص المختارة للشاعر رعد زامل ، وقد توصل الى جملة من النتائج اهمها:

ـ ان الشاعر يأتي بكلمات تحمل اشارات تنبئ عن العنصر المفقود في النص والذي يتضمن الجانب المعمي وغير المنظور اليه بفعل ما يمارس على الخطاب من رقابة وقيود.

ـ يحقق استحضار الغائب من قبل المتلقي كشف حقائق مغايرة للواقع وغير محببه، عبر فك شفرات تتخفى بين رموزها الحقيقة المسكوت عنها والقابعة في قعر المبنى الخارجي للنص، ليشكل الغائب حقيقية غير مصرح بها، ليصف من خلالها تعاسة المجتمع وانكساره.

ـ كما ان الشاعر يوظف التضاد كعلامة بلاغية واصفا من خلالها ما يقع على مجتمعه من قيود واكراهات ، فضلا عن ؛سلبيات الحروب واثرها النفسي على البشر وما يرافقها من تهجير وحصار طالع واقعه آن ذاك ، لتحقق هذه الاشارات الموظفة غرض الشاعر عبر التلميح وترك التصريح ، ليمنح النص عمقا غزيرا بالمدلولات مما لم يقله بالكلمات .

ـ يأتي توظيف ظاهرة الغياب في نصوص الشاعر كبديل يلائم ما يكتنف انا المهزومة بفعل الخوف من الآخر المسيطر، والمتحكم في ممارسات الشعب وحرياتهم ، وتكبل اللسان كأسير في واقع يمقت الكلام ويخلع الضمير، في ظل تواطؤ وخيانة من يقع على عاتقهم حمل حبل النجاة لتذهب الشعوب ضحية ووقودا لممارسات السلطة وجرائمها المستترة ،لتحيل هذه التداعيات انجراف المجتمع الى خراب وجوع واضطهاد .

الهوامش

(١) ينظر: المصطلحات الادبية الحديثة ، الدكتور محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان ، القاهرة . مصر، ط٣، ٢٠٠٣، ص١٣٨،١٣٩.

(٢) ينظر: النص الغائي نظريا وتطبيقيا دراسة في جدلية العلاقة بين النص الحاضر والغائب ، د. احمد الزعبي، مرجع سابق ،ص٨،٩،١٠.

(٣) ينظر: دلالة الحضور والغياب في شعر امل دنقل ، رسالة ماجستير ، المدرسة العليا للاساتذة في الادب والعلوم الانسانية ، الباحث، حياة قريرة، اشراف : الاستاذ الدكتور عثمان بدري ٢٠٠٣. ٢٠٠٤، ص١٩.

(٤) ينظر: جدلية الحضور والغياب بين القدماء والمحدثين دراسة اسلوبية نقدية ، د. محمد مختار جمعة ، حولية مجلة علمية محكمة ،جامعة الازهر ، القاهرة . مصر ، عدد٢٥، مجلد ١، ٢٠٠٧، ص١٢،٢٧.

(٥) ينظر: الحضور والغياب في رواية رمل الماية واسيني الاعرج إنموذجا ، رسالة ماجستير جامعة الشهيد حمة الخضر. الوادي، الجزائر ، الباحث : بن عيشة صباح ، لغيبر هاجر، الاستاذ : مسعودي العلمي ، ٢٠١٦.٢٠١٧، ص١١،٢٤،وينظر: الظاهرة الشعرية العربية الحضور والغياب ، الدكتور حسين خمري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق . سوريا، د ط ، ٢٠٠١، ص ١٥.

(٦) ينظر: الظاهرة الشعرية الحضور والغياب ، حسين خمري ، مرجع سابق ،ص١١. وينظر : المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية ، عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، د ط، الكويت ،٢٠٠١، ص١٣٢.

(٧) ينظر: الظاهرة الشعرية الحضور والغياب، حسين خمري ، مرجع سابق ،١٧،١٨.

(٨) علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الأدبي (مقاربة نقدية) ، د. سمير الخليل ، دار الشؤون الثقافية العامة ،العراق . بغداد،ط١، ٢٠٠٨،ص٧.

(٩) ينظر: الحضور والغياب في رواية رمل الماية واسيني الاعرج انموذجا ، مرجع سابق ،ص٢٤.وينظر: علم النص ، جوليا كرستيفا، ت: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء . المغرب، ط١، ١٩٩١،ص١٩،٢٠.

(١٠) ينظر: قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، د. خليل الموسى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق . سوريا، د ط، ٢٠٠٠ ، ص٥٢،٥٣،٥٤،٥٥،٥٦.

(١١) ينظر: الظاهرة الشعرية الحضور والغياب ، حسين خمري ، مرجع سابق ،ص١١،١٢.

(١٢) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل ، دار سطور للنشر والتوزيع ، بغداد . العراق ، ط١، ٢٠٢٠،ص١١.

(١٣) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل، المصدر السابق ، ص١٢.

(١٤) ينظر: سيمياء المسكوت عنه في القصص العربي القديم ، أ.م.د: صلاح كاظم هادي، الباحثة، زينب علي كاظم، مجلة التراث العلمي العربي (فصلية علمية محكمة) ، مجلد١٩، عدد، ١،٢٠٢٢، ص٧،٨.

(١٥) ينظر: علم الدلالة، د .احمد مختار عمر ،عالم الكتب ،القاهرة . مصر، ط١، ١٩٨٥، ص١٠٢.

(١٦) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل، مصدر سابق، ص١٢.

(١٧) ينظر: الظاهرة الشعرية الحضور والغياب ، حسين خمري، مرجع سابق ، ص١٦،١٧،١٨،وينظر: الشعرية ، تزفيطان تودروف ، ت: شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء. المغرب، ط١، ١٩٨٧، ص٣٠،٣١،٣٢،وينظر: النظرية البنائية في النقد الادبي ، د. صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة مصر، ط١، ١٩٩٨، ص٢٠٤،٢٠٥.

(١٨) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل ، مصدر سابق ، ص١١٣.

(١٩) جدلية الحضور والغياب بين القدماء والمحدثين دراسة اسلوبية نقدية ، د. محمد مختار جمعة ، مرجع سابق ،ص١٢،٢٧.

(٢٠) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل ، المصدر السابق ،الصفحة نفسها.

(٢١) ينظر : علم الدلالة ،احمد مختار عمر، مرجع سابق ، ص١٠٢.

(٢٢) ينظر: قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر، د. خليل الموسى ، مرجع سابق، ص٥١.

(٢٣) ينظر: الهوية السلبية الانهزامية للذات العراقية قراءة في مجموعة (كواليس القيامة) لسعد سعيد ،د. اريج كنعان، كلية الآداب/ جامعة بغداد،٢٠١٢،ص١٠،١١، وينظر، الانهزامية في الشعر الاندلسي في القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير ،جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات . قسم الادب العربي، بشير اعبيد، اشراف: د. امحمد بن لخضر، الجزائر،٢٠٠٩،ص٤،٥.

(٢٤) ينظر: الحضور والغياب في شعر عبد الناصر صالح ، ديوان "مدائن الحضور والغياب" انموذجا ، دراسة تحليلية ، ازهار عطايا ابو شاويش ، مجلة المجمع (١٢) ،٢٠١٧،ص٣،٤.

(٢٥) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل ، مصدر سابق ، ص ٢٥.

(٢٦) ينظر: علم الدلالة ،احمد مختار عمر، مرجع سابق، ص١٠٢.

(٢٧) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل، مصدر سابق، ص٢٥.

(٢٨) تجليات الخوف في الشعر الاموي ، د. حسين محمد عبيدات ،منشورات جرش مدينة الثقافة الاردنية، وزارة الثقافة، ط١، ٢٠١٥،ص٤٩،٥٢.

(٢٩) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩ ، رعد زامل ، مصدر سابق ، ص٢٥،٢٦.

(٣٠) ينظر: جمالية الزمن في الشعر العربي الحديث من خلال "جفرا" لعز الدين المناصرة ، مجلة الخطاب ، جامعة مولود معمري ، كلية الآداب واللغات . مخبر تحليل الخطاب ، أ عمارة الحداري ، تونس، عدد٢٣، ٢٠١٦،ص١٥١،١٥٢.

(٣١) النص الغائب في القصيدة العربية الحديثة ، عبد السلام الربيدي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان . الاردن، ط١، ٢٠١٢، ص٢٦،٢٧.

(٣٢) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩ ، رعد زامل ، مصدر سابق ، ص٢٦.

(٣٣) ينظر: علم الدلالة ،احمد مختار عمر، مرجع سابق ،ص١٠٢.

(٣٤) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل، المصدر السابق ،ص ٢٤.

(٣٥) الاعمال الشعرية ١٩٩٩.٢٠١٩، رعد زامل، المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

(٣٦) علاقات الحضور والغياب في شعرية النص الادبي (مقاربة نقدية) ، د. سمير الخليل ،مرجع سابق،ص٧.